

عن كتابة التاريخ الإسلامي

إن المنطقة العربية - وبلاد الشام خاصة التي بارك الله فيها - من مراكز الصراع الكبرى في العالم حتى يتبين الحق والباطل ويتمحص أهلها وبأخذوا أجر الدفع والجهاد في سبيل الله، قال تعالى ذاكرا بلاد الشام: [سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ] [الإسراء: ١] ، وقال: [وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا] [الأعراف: ١٣٧] ، وبنوا إسرائيل أورثوا مشارق ومغارب بلاد الشام، وقال تعالى ذاكرا إبراهيم - عليه السلام -: [وَنَجِّنَاهُ وَلَوْطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ] [الأنبياء: ٨١] ، وإبراهيم إنما نجاه الله ولوطاً إلى أرض الشام.

وعن أبي الدرداء قال: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «يوم الملحمة الكبرى فسطاط المسلمين بأرض يقال لها: العوطة، وفيها مدينة يقال لها: دمشق خير منازل المسلمين يومئذ» [١]. وعن خريم بن فاتك الأسدي قال: (أهل الشام سوط الله في الأرض ينتقم بهم ممن يشاء، كيف يشاء) [٢]. كما ورد في الحديث الصحيح: «إذا أحب الله قوماً ابتلاهم» [٣]

وفي أرض الشام ومصر قام الصراع بين المسلمين والصليبيين، فكان لهم فضل رد هؤلاء الغزاة عن كل بلاد المسلمين، وفي أرض الشام هُزم التتار لأول مرة بعد زحفهم المدمر على بلاد الإسلام. وفي العصر الحديث ابتليت باليهود ويكل الحاقدين على الإسلام، فهي في صراع مستمر حتى يميز الله الخبيث من الطيب ويتخذ منهم شهداء، والذي ينظر بعين البصيرة إلى تجمع اليهود من كل أنحاء العالم، بشعر وكأنهم يساقون سوفاً إلى هذه المنطقة، بل استطاعوا جرّ أمريكا وأوروبا وراءهم لتصبح من المراكز الحساسة جداً في السياسة العالمية. يقول الدكتور زين نور الدين زين: (ربما ليس هناك بقعة أخرى في الدنيا كلها وقعت حروب في أرضها وعبرت شعوب ثم عادت لتعبر ثانية فوق أرضها كمنطقة الشرق الأدنى، فهذه المنطقة كانت أبداً ساحة معركة للجيوش، كما أنها كانت معتركة للفكر) [٤] ، ويقول أيضاً: (إن المشاكل الحديثة التي جددت في المنطقة بعد الحرب العالمية الثانية تدفع بالمرء أحياناً إلى الاستنتاج أن القدر ذاته كان منذ فجر التاريخ يلعب دوراً حاسماً في مصير الشرق الأدنى وأنه مكتوب على شعوب هذه المنطقة أن تعيش في حالة مستمرة من التوتر والتنازع، ومنذ سقوط الإمبراطورية العثمانية لم تحسم قط في هذه البقعة من الدنيا قضية واحدة حسماً نهائياً) [٥]



والمنطقة ليست ثمرة شبيهة للغرب والشرق من ناحية الثروات الطبيعية فقط بل لأنها مركز الصراع الحضاري فالغرب يعتبر (الكيان الصهيوني) امتداداً حضارياً له، وهو في صراع مع المسلمين فلا بد إذن من مساعدة اليهود

إن كثرة ذكر القرآن لليهود وتخصيصهم بالذكر هم والنصارى في سورة الفاتحة ليدل على أن الصراع بين المسلمين وبين هاتين الفئتين سيكون صراعاً طويلاً، كما يدل على أثر هاتين الفئتين في الأحداث العالمية، ومن يقرأ الكتب التي تتحدث عن أثر اليهود في السيطرة على كثير من المؤسسات والدول واستخدامهم - في سبيل ذلك - المال والنساء ووسائل الإعلام والواجهات من جمعيات وأحزاب ذات لافتات براقية، من يقرأ هذا يشعر بأنهم يتلاعبون بالشعوب والأمم السادرة في غيها وضلالها، ومع أن هناك صيحات تحذير من هنا وهناك ممن عرفوا حقيقة مكرهم وتخطيطهم من وراء الستار، وأنهم هم سبب الكثير من الأزمات، الاقتصادية والسياسية، إلا أن هذه التحذيرات لم تعرقل أو تؤخر من سيطرتهم.

إن التفسير القرآني للتاريخ بمدافعة الأمم بعضها بعضاً هو أعم وأشمل من نظرية (التحدي) عند المؤرخ الانكليزي (توينبي) التي هي صادقة في جانب من جوانب التاريخ الإنساني، فإن تعرض أمة لخطر خارجي أو داخلي قد يظهر من طاقات أبنائها ما كان خامداً، فإن وقت الأزمات والمصائب هو الوقت الذي يفكر فيه الناس بالتغيير، ولكن أين هذه النظرية من تفسير القرآن الذي هو عملية مستمرة وصراع دائم بين الخير والشر لينتغلب الخير أو يخفف من الشر.

ثالثاً - ومن سنته تعالى في البشر أن الأمم التي تبطر معيشتها، وتعيش في الترف وتنهمك في الملذات، وتقارب الآثام والذنوب، لابد أن يصيبها العقاب إن أجلاً أو عاجلاً وسواء كان عذاباً مادياً حسيماً أو عذاباً معنوياً. قال تعالى: [وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا] [الإسراء: ١٦] فهلاك القرى إنما يجيء بعد وجود طبقة المترفين الذين يفسقون فيها، والأمر هنا هو أمر قذري كوني، ولا داعي لتأويلها بأن الله سبحانه وتعالى أمر المترفين بأن يقيموا حدود الله فلم يقيموها فحق عليهم القول؛ لأن المترفين في الاصطلاح القرآني قد فسدت فطرتهم فلا يستحقون هذا التكريم

وقال تعالى: [وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظُهُرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا] ... [فاطر: ٤٥] .

. وقال تعالى: [وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا] * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لِّئَا أُولَى بَاسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا] [الإسراء: ٤-٥] . وقال تعالى: [وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا] [الإسراء: ١٧] . [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ] [الأعراف: ٩٦] .

وقد ثبت في الصحيحين لما نزل قوله تعالى: [قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ] قال - صلى الله عليه وسلم -: «أعوذ بوجهك» [أو من تحت أرجلكم] قال: «أعوذ بوجهك» [أو بلبسك شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض] قال: «هاتان أهون» [٦] . فعذاب التفرق والتحزب هو من العذاب الذي يصيب المسلمين كما يصيب غيرهم، بل ربما كان في المسلمين أشد، لأن هذا من عذابهم في الدنيا، وقال - صلى الله عليه وسلم -: «ما ظهر في قوم الربا والزنا إلا أكلوا بأنفسهم عقاب الله» [٧]

من عذاب الله لهذه الأمم التي انغمست في حماة الرذيلة وما هذا القتل المستمر بين الناس لا يدري القاتل والمقتول فيم يقتتلان، وما هذه الزلازل المدمرة في لحظات وثوان، إلا من عقاب الله الظاهر والخفي. يقول ابن تيمية مطبقاً هذه القاعدة على التاريخ الإسلامي: (وقد أصاب أهل المدينة [٨] من القتل والنهب والخوف ما لا يعلمه إلا الله، وكان ذلك لأنهم بعد الخلفاء الراشدين أحدثوا أعمالاً أوجبت ذلك، وكان على عهد الخلفاء يدفع الله عنهم بإيمانهم وتقواهم) [٩].

وجاء في (سير أعلام النبلاء) تعليقاً على الأحداث التي جرت في مكة بين جيش يزيد بقيادة الحصين بن نمير السكوني وبين جيش عبد الله بن الزبير: (دخل عبد الله بن عمرو المسجد الحرام والكعبة تحترق حين أدبر جيش حصين بن نمير، فوقف وبكى وقال: أيها الناس، والله لو أن أبا هريرة رضي الله عنه أخبركم أنكم قاتلوا ابن نبيكم (الحسين بن علي) ومحرقوا بيت ربهم لقلمت: ما أحد أكذب من أبي هريرة، فقد فعلتم فانتظروا نعمة الله فلبسناكم شيعاً، ويذيق بعضكم بأس بعض) [١٠]. وأما ما حل بالأمم السابقة بسبب فساد أخلاقها فهو معروف مشهور



وأكبر مثال على ذلك ما حل بالدولة الرومانية، فقد سقطت أمام جحافل الزاحفين عليها وكأنها لم تكن والفساد والبطر الذي تمارسه أوربا في هذا العصر حداً بالعقلاء منهم إلى إرسال صيحات الإنذار والخطر، ويقول ألكسس كاريل: (وهذا هو السبب في أن الأسر والأمم والأجناس التي لم تعرف كيف تميز بين الحلال والحرام تتحطم في الكوارث، فمرض الحضارة والحرب العالمية نتيجتان ضمنتان لانتهاك حرمة النواميس الكونية) [١١].

وكاريل يتحدث عن مرض الحضارة قبل الحرب الثانية وبعدها بقليل، فكيف لو شاهد قمة التفسخ الأخلاقي والاجتماعي الذي يعيشه الغرب والشرق الآن .

رابعاً - ومما هو قريب من السنة السابقة: أن الناس هم المسؤولون عن رقيهم وانحطاطهم، قال تعالى: [إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ] [الرعد: ١١] ، فالتغيير يجب أن يبدأ من الإنسان، والله سبحانه وتعالى يبسر له السبل التي يريدها والأمة التي تعيش فيها الأفكار المينة والأنانية والبغض والحسد، وقد ركبت إلى الكسل والخمول، هذه الأمة لا يمكن أن تنتج تقدماً أو شيئاً يذكر بل إن حكماً علمانياً يمكن أن يستمر ويزدهر بالاتحاد والعدالة أكثر من حكم أدعاء الإيمان إذا ما ركنوا إلى الأخلاق المنحلة وإلى الفوضى والعصيان [١٢]

لقد نقل الإسلام العرب نقلة بعيدة غيرت ما بأنفسهم تغييراً شاملاً وجذرياً، وكل الأفكار القائلة من عصبية وخرافات وعقائد ساذجة مضحكة، كل هذا تغير بعقيدة التوحيد الواضحة الشاملة لكل مناحي النفس الإنسانية وعندئذ استطاعوا تغيير ما بأنفس الأمم الأخرى، لقد بدأ التغيير بكلمة [اقرأ] ورجل الفطرة الذي لم تقسه الفلسفات الباردة أو الترف المردي، إن تدبر القرآن الكريم والسنة النبوية كفيلاً بتغيير ما بالنفس من أمراض ليعود رجل الفطرة إلى دوره في السير على هدى الله ويحقق ما خلق من أجله. وإن تغيير ما بالنفس ليس عملية صعبة فهذه أمم في العصر الحديث استطاعت أن تنهض من كبوتها بسبب وجود الإنسان الذي اكتملت فيه الشروط النفسية للتغيير، وليس بسبب وجود المادة وتراكمها، وأكبر مثال على ذلك ما فعله الشعب الألماني الغربي بعد الحرب العالمية الثانية، وكيف عمر بلده بعد أن أصبح خراباً بسبب الحرب، ورجعت ألمانيا كأقوى الدول الغربية اقتصادياً، وصدق فيهم ما قاله الصحابي عمرو بن العاص عن أجدادهم الروم: (وأسرع الناس إفاقة بعد مصيبة) [١٣] ، وعندما يغير المسلمون ما بأنفسهم سيأخذ الله سبحانه وتعالى بأيديهم، لأن هذا وعده ومن أصدق من الله قيلاً.



ونستطيع القول إن تمزق الأندلس إلى دويلات متنافرة كان ضربة لم تنهض الأندلس من آثارها قط، على الرغم من التثام شملها بعد ذلك في ظل المرابطين ثم الموحدين. فالواقع السياسي المهتزء لملوك الطوائف انعكس على الوضع الاقتصادي نتيجة اعتداءات ألفونسو السادس، الذي شكل قوة ضغط عليهم، حتى جعلهم بحسب تعبير دوزي "في المعصرة" وذلك باستنزاف مواردهم المالية عن طريق سنّ ضرائب سنوية ازدادت مقاديرها بشكل كبير إلى درجة أن بعضهم عجز عن أدائها، فكانت جولاته العسكرية تعود كل مرة محملة بالضرائب

وفي خضم هذه المعاناة من التفكك السياسي والاجتماعي تحت حكم ملوك الطوائف، كان المغرب يتمتع بوحدة سياسية ودينية قوية في ظل دولة المرابطين وزعيمها يوسف بن تاشفين^(١)، الذين يرجع أصلهم إلى قبيلة لمتونة البربرية، كما أن أصل التسمية يرجع إلى أتباع الحركة الإصلاحية التي أسسها عبد الله بن ياسين^(٢)، والذي قاد حركة جهادية لنشر الدين، وكان رجالها يلزمون الرباط بعد كل حملة من حملاتهم الجهادية، هذه الحركة التي بدأت إنطلاقاً من الجنوب في موريتانيا، حيث أفلحوا في حمل بلاد غانا على الإسلام، ومن ثم باقي مناطق الصحراء الغربية، وأضحى ملوك غانا من المسلمين في ذلك الوقت حتى عندما انفصلوا عن دولة المرابطين، وأعلنوا تبعيتهم للخليفة العباسي في بغداد.

وعندما قُتل عبد الله بن ياسين في إحدى المعارك، سار في نهجه أبو بكر بن عمر^(٣) الذي خلف يحيى بن عمر، وقد كان أبو بكر موفقاً في اختيار ابن عمه يوسف بن تاشفين، ليكون ساعده القوي في تحقيق المباديء التي انطلقت من رباط السنغال، هذا الرجل الذي سرعان ما انتقل بالدولة من العهد الصحراوي إلى عهد الدولة المتحدة حول هدف واحد هو الجهاد من أجل الإسلام، وقد كان بناء يوسف لمدينة مراکش عام (١٠٦٢/٥٤٥هـ) والاستيلاء على مدينة فاس مؤشراً على نجاح هذا المشروع.

الأندلس بين ...

كتابة: د. لمياء دلة
كاتبة من لبنان

الأندلس بين ملوك الطوائف ودولة المرابطين

إنّ الحديث عن الأندلس وتاريخها يحمل في طياته الكثير من معاني الفخر والاعتزاز بأجداد أولئك المسلمين الذين أرسوا في الأندلس دعائم وطيدة من الحضارة والتمدن، وقواعد راسخة من المثل والأخلاق النبيلة. يصاحب هذا كله ألوان شتى من الأسى والألم على ضياع ذلك الفردوس العظيم

أدى قيام دول الطوائف في الأندلس إلى تكريس الطائفية السياسية، حيث توزعت الأندلس ممالك عدة، عربية، وبربرية، وصقلبية، وجنح الملوك إلى اتخاذ ألقاب لم يكن ليتخذها قبل ذلك غير الخلفاء، وانقسمت البلاد إلى وحدات سياسية، ما أدى إلى تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية، وتراجع حدود الإسلام. ومن أشهر الدويلات التي قامت مقام الدولة الأموية والتي انضوت إلى لواء ثلاثة أحزاب كبيرة:

الحزب الأول: ويمثله أهل الأندلس، وقد عرفوا أيضاً بأهل الجماعة، وكان من زعمائهم بنو عباد (عرب) للخميين في إشبيلية، وبنو جهور (بربر) في قرطبة، وبنو هود (عرب) في الثغر الأعلى بسرقطة، وبنو صمادح في ألمرية، وبنو برزال في قرمونة، وبنو خزرون في أركش، وبنو نوح في مورور وعبد العزيز بن أبي عامر في بلنسية.

الحزب الثاني: يمثله المغاربة و البربر، ومن زعماء هذا الحزب بنو زيري في غرناطة، وبنو حمود في مالقة

الحزب الثالث: يمثله كبار الصقالبة الذين كانوا في الأصل رقيقاً من سبئي الشعوب السلافية، الذين بيعوا إلى عرب الأندلس

وأبلغ تعبير في وصف حال الأندلس عقب الفتنة وقيام دول الطوائف قول ابن الخطيب: وذهب أهل الأندلس من الانشقاق والانشعاب والافتراق، إلى حيث لم يذهب كثير من أهل الأقطار، مع امتيازها بالمحل القريب، والخطّة المجاورة لعباد الصليب، ليس لأحدهم في الخلافة إرث، ولا في الإمارة نسب، ولا في ثروة الإمامة مكتسب، اقتطفوا الأقطار، واقتسموا المدائن الكبار، وجبوا العملات والأمصار، وجندوا الجنود، وقدموا القضاة، وانتحلوا الألقاب، وكتب عنهم الكتاب الأعلام، وأنشدتهم الشعراء.

[١] - المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤/ ٥٣٢) ٨٤٩٦

[٢] - مسند أحمد مخرجا (٢٥/ ٤٦٧) رقم ١٦٠٦٥.

[٣] - صحيح الجامع الصغير ١/ ١٣٩.

[٤] - الصراع الدولي في الشرق الأوسط / ١٤.

[٥] - المصدر السابق / ١٨١ والمؤلف في تعبيراته (الشرق الأدنى) أو (الامبراطورية) متأثر بمسميات الغربيين لتاريخنا.

[٦] - مختصر صحيح الإمام البخاري (٣/ ١٦٩).

[٧] - مسند أحمد ت شاكر (٤/ ٤٣)

[٨] - يعني بذلك: وقعة الحرة عندما ثار أهل المدينة على يزيد بن معاوية.

[٩] - الفتاوى ١١/ ١١٤.

[١٠] - الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣/ ٩٤.

[١١] - تأملات في سلوم الإنسان / ٤١ - نشرة جامعة الدول العربية.

[١٢] - انظر ما كتبه الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه: (دستور الأخلاق في القرآن) حول هذا الموضوع، وما كتبه الأستاذ جودت سعيد حول سنن تغير ما بالنفس في كتابه (حتى يغيروا ما بأنفسهم) .

[١٣] - مختصر صحيح مسلم للمندري، تحقيق الألباني/ ٢٩٦.

[١٤] -- ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن / ٣٢٦ - تحقيق: سيد صقر

خامساً [١٤]- في صراع الحق والباطل سينتصر الحق في النهاية وإن انتفش الباطل وعريد في البداية، وهذه سنة نلاحظها في تفاصيل الحياة اليومية كما نلاحظها في الأحداث الكبار، قال تعالى: [أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ جَلْبَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ] [الرعد: ١٧]

يقول ابن قتيبة شارحاً هذه الآيات: (هذا مثل ضربه الله للحق والباطل يقول: الباطل وإن ظهر على الحق في بعض الأحوال وعلاه، فإن الله سيمحقه ويبطله، ويجعل العافية للحق وأهله، ومثل ذلك مطر جود أسال الأودية بقدرها [فاحتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا] أي عالياً على الماء كما يعلو الباطل تارة على الحق، وكذلك المعادن إذا دخلت الكير يوقد عليها فيعلوها مثل زيد الماء ثم قال: [فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً] أي يلقى الماء عنه فيتعلق بأصول الشجر وجنبات الوادي، وكذلك خبث الفلز ينفذه الكير، فهذا مثل الباطل [وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ] فهو مثل الحق)

والمسلمون هم أحق الناس بهذه السنة وإذا تأخر عنهم فلأمر ما في نفوسهم، أو لأنه لم تتمحص صفوفهم وكيف لا ينصرهم الله سبحانه وهم أولياؤه، وهل يستوي المجرمون والمسلمون، وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «نصرت بالرعب مسيرة شهر» وهذا الكلام ليس من باب [نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ] ، فهذه لا يفكر فيها المسلم ولكنها من باب وعد الله الصادق بنصر المؤمنين عندما يكونون مؤمنين فعلاً، قولاً وعملاً، وليس من قبيل الأمانى ويجب أن يعتقد من تأخر عنه النصر والتمكين أنه ما تأخر إلا لسبب أو لأسباب، فلا يلومن إلا نفسه، ولا يضع المعاذير لنفسه ويلقي بالتبعة على غيره.

وأملنا كبير في إعادة كتابة التاريخ الإسلامي هناك في الجامعات والمعاهد و لدى المؤرخين والباحثين بصورته الصحيحة، فالرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل. للبحث صلة.



أبطال في زمن الأندلس ...

[[٤]] المعتمد بن عباد:

(٤٣١-٤٨٨هـ/١٠٤٠-١٠٩٥م) هو ثالث ملوك بني عباد في الأندلس، كان ملكاً لإشبيلية وقرطبة في عصر ملوك الطوائف قبل أن يقضي على إمارته المرابطون، خلف والده في حكم إشبيلية عندما كان في الثلاثين من عمره، ثم وسع ملكه فاستولى على بلنسية ومرسية وقرطبة وأصبح من أقوى ملوك الطوائف. الحجي، عبد الرحمن علي، "التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة"، دار القلم، بيروت، ١٩٨١م، ط٢، ص ٣٩١.

[[٥]] أبو حامد الغزالي النيسابوري:

أحد أشهر علماء المسلمين في القرن الخامس الهجري (٤٥٠-٥٠٥هـ/١٠٥٨-١١١١م) كان فقيهاً وفيلسوفاً، ويُعرف بالغزالي نسبة إلى صناعة الغزل، من أشهر مؤلفاته كتاب إحياء علوم الدين. الزبيدي، محمد، "إتحاف السادة المتقين في شرح كتاب إحياء علوم الدين"، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج١، ص ٦.

[[٦]] أبو بكر الطرطوشي:

محمد بن الوليد بن خلف (٤٥١-٥٢٠هـ/١٠٥٩-١١٢٦م)، فقيه مالكي، صاحب كتاب سراج الملوك في سلوك الملوك، ويُسمى بالطرطوشي نسبة إلى المدينة الأندلسية طرطوشة. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٨م)، "سير أعلام النبلاء"، تحقيق: حسين الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م، ط٩، ج ٣١، ص ٤٩٠.

[[٧]] أحمد بن هود:

كان من أعظم ملوك الطوائف في زمانه، يحيط نفسه بشيء من العظمة والأبهة، وعُد بلاطه من أعظم قصور الطوائف وأفخمها، أحاط نفسه بطائفة من أشهر العلماء والكتاب في عصره منهم: العلامة أبو الوليد الباجي، حتى كتب كتباً في الفلسفة والرياضيات، واستطاع أن يكون مملكة مترامية الأطراف ويوطد حكمه فيها إلى أن توفي سنة (٤٧٥هـ/١٠٨١م) متأثراً بعضة كلب بعد أن دام حكمه ٣٥ سنة. عنان، محمد عبد الله، "دولة الإسلام في الأندلس"، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م، ط٤، ج ٣، ص ٢٨٣.

[[١]] يوسف بن تاشفين:

هو أحد قادة المرابطين الذي أصبح القائد الأوحده عليهم، بعد وفاة ابن عمه الأمير أبو بكر بن عمر، ويعتبر المؤسس الحقيقي لدولة المرابطين لأنه هو الذي وُطد أركانها وأعطاهها كياناً دولياً ثابتاً. العبادي، أحمد مختار، "دراسات في تاريخ المغرب والأندلس"، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ط١، ص ٣٠٥. ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله (ت: ٧٢٦هـ/١٣٢٦م)، "روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس"، دار المنصور للطباعة، الرباط، المغرب، ١٩٧٢م، ص ٨٦.

[[٢]] عبد الله بن ياسين:

ولد من أب صنهاجي يُدعى مكوك بن مسير بن علي في تخوم صحراء سوس بالمغرب، درس عند وجاج بن زلو اللمطي، وهو فقيه مغربي، رحل بعدها إلى الأندلس، وهي في عهد ملوك الطوائف، وأقام بقرطبة سبع سنين. مجلة دعوة الحق، "عبد الله بن ياسين مجدد الإسلام بإفريقية"، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، العدد ١١٩، ص ٥٥. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ١٢٣.

[[٣]] أبو بكر بن عمر اللمتوني:

من رؤساء دولة المرابطين في المغرب. استولى على سجلماسة وملك السوس بأسره ثم امتلك بلاد المصامدة، وفتح بلاد أغمات، وتلمسان، وكان في كل هذا إلى جانب سيد المرابطين عبد الله بن ياسين، وبعد إصابته في حربه مع برغواطية، أوكل قيادة الجيش إلى (أبو بكر)، الذي بلغه وقوع فتن في الصحراء بين قبائل قومه فارتحل إلى سجلماسة، وفوض أمر المغرب إلى ابن عمه يوسف بن تاشفين. توفي في السودان سنة (٤٨٦هـ/١٠٧٥م). ابن عذاري، أبو عبدالله محمد بن محمد (ت: ٦٩٥هـ/١٢٩٦م)، "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"، تحقيق: ج. س. كولان، وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م، ط٣، ص ١٤. سيأتي الحديث عنهم في متن الأطروحة ابتداءً من ص ٢٧.



وأخيراً اقتنع ابن تاشفين فعاد مرة أخرى إلى الأندلس للقضاء على ملوك الطوائف فاستعرت نار الحرب بينه وبينهم، وانتهت بضم كل ممالك الأندلس لدولة المرابطين، إلا سرقسطة التي حكمها أحمد بن هود[[٧]]، والذي كان كالشوكة في حلق النصراري، فقد قاومهم زمناً طويلاً مما جعل المرابطين يحترمونته حتى توطدت العلاقة بين الأمير يوسف والأمير أحمد بن هود، ورضي المرابطون ببقائه حاكماً تابعاً لهم، وبذلك أصبحت الأندلس ولاية تابعة لدولة المرابطين

لكن في عهد علي بن يوسف (٤٩٩/٥٣٧هـ/١١٠٦-١١٤٣م) تعرضت الأندلس إلى هزائم متعددة على أيدي النصراري في موقعة قنتدة (٥١٤هـ/١١٢٠م)، وبعدها في موقعة القليعة (Cullera) (٥٢٣هـ/١١٢٩م) التي مني فيها المسلمون أيضاً بالخسارة ثم استولى الموحدون على الدولة المرابطية بعد استيلائهم على مراكش عام (٥٤١هـ/١١٤٧م).



ويبدو أن هذه الدولة المرابطية الغنية ما كانت لتقف مكتوفة الأيدي عند هذا الحد الشمالي للمغرب، لأن منطق الأحداث التاريخية، من قبل ومن بعد، كان يفرض عليها الانتشار والتوسع في العدو الأندلسية المقابلة، خصوصاً بعد أن امتلك المرابطون ثغور المجاز المغربية مثل سبتة وطنجة ومليلة. كما أن الظروف السياسية قد خدمت المرابطين في هذه الناحية، فجعلت الأندلس تحت الضغط المسيحي من الشمال وأسهمت في طلب المعونة من المغرب قبل أن تفرض عليها فرضاً.

وقد روي في هذا الخصوص أن المعتمد بن عباد[[٤]] حينما عزم على الاستجداد بالمرابطين وقال جملته الشهيرة التي عبرت عن شعور الأندلسيين في ذلك العصر: "رعي الجمال عندي خير من رعي الخنازير!"، يدل على أن المعتمد كان يعلم بأن ملكه ضائع سواء على يد المرابطين في الجنوب أو الإيبان في الشمال، وبالتأكيد كان يفضل السيادة الإسلامية بطبيعة الحال

هذا وقد عبر المرابطون إلى الأندلس وانتصروا على ملك إشبانيا الفونسو السادس في موقعة الزلاقة سنة (٤٧٩هـ/١٠٨٦م).

ثم أعقبوا هذا الانتصار بالاستيلاء على الأندلس، وخلع ملوك الطوائف وبذلك أصبح المغرب والأندلس، يكونان دولة واحدة قوية عاصمتها مدينة مراكش، فقد نجحت هذه الدولة في مزج العناصر المغربية والزنجية والأندلسية، مما تكون عنه أسلوب حضاري جديد هو خلاصة التقاء هذه العناصر الثلاثة، فحدوا من نفوذ إيطاليا البحرية، وحالوا و قيام حرب صليبية في المغرب مثلما حدث في المشرق، وأسهموا في دور كبير بنشر الإسلام بغرب أفريقيا

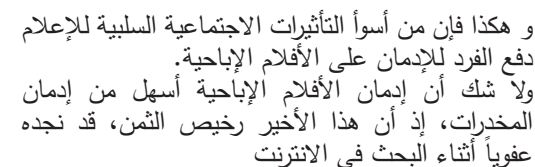
وبعد عودة يوسف بن تاشفين إلى أرض المغرب، حدثت الصراعات بين أمراء الطوائف من جديد، وهنا ضج علماء الأندلس وذهبوا يستجدون من جديد بيوسف لإنقاذهم من أمرائهم، لكنه كان يتورع عن هذا الأمر، إذ كيف يهجم على بلاد المسلمين وكيف يحاربهم؟

ويذكر المقري: فتأتيه الفتاوى من بلاد الشام من أبي حامد الغزالي[[٥]]، ومن أبي بكر الطرطوشي[[٦]] العالم المصري الكبير، ومن علماء المالكية في شمال أفريقيا تحمله مسؤولية ما يحدث في بلاد الأندلس إن هو تأخر عنها، وتحذره من ضياعها إلى الأبد، وتطلب منه أن يضمها إلى أملاك المسلمين تحت راية دولة واحدة، وهي دولة المرابطين.

كتابة: د. ربي شعراني
كاتبة من لبنان

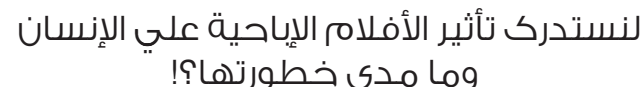
أين نحن من هذا الإعلام
يا مجتمعنا؟

و هذه هي ثقافة نافهة يملئها علينا إعلاننا اليوم، ثقافة مرهقة تشوه ذوقنا وتدمره لكي يصبح كل ما نحبه فناً هابطاً [١].



الرجاء

[٢] قدرت حالات الاغتصاب المعلنة في الولايات المتحدة بـ ٢٠٠ ألف حالة سنوياً وغير المعلنة بمليون حالة اغتصاب سنوياً، رغم أن ممارسة الجنس مسموح بها



... أمام لغتك

كتابة: د. مأمون طريه
باحث وكاتب لبناني في السلوك الاجتماعي

عندما تقف غريباً أمام لغتك

عندما قال الاديبي اللبناني جبران خليل جبران: "اللغة تلد على أمل شاعر"، لم يكن بخلد هذا الاديبي انه لم يعد بوسع الشعراء وحدهم إستيلاء اللغة، فهناك لغة أخرى ستولد ولكن ليس معهم أو عبر سواهم من الأدباء.

إذ لو قَبِضَ له أن يقرأ ويتابع ما يُكتب في صفحات المواقع الإلكترونية والمدونات الخاصة لهاله العجب من مفردات وتعبيرات وتراجم يختار م وإياها الباحث كيف يصنّفها وأين؟

- هل هي فعلاً لغة خاصة مميزة من غيرها من اللغات المتداولة في أروقة المعاهد والجامعات؟

- هل هي سهلة التخاطب والاستخدام والتعبير؟

- هل عصر السرعة (fast food/ fast) link انسحب اختصاراً على اللغة أيضاً fast language؟

- هل تقلص زمن الكتابة والتعبير من بلاغة اللغة وبديعها إلى رموز وإشارات واختصارات متفق عليها ..؟

مجمال هذه الاسئلة كانت المشكلة التي دفعتنا لنبحث في ماهية اللغة عبر التواصل الإلكتروني والمواقع الاجتماعية لاسيما بعدما رصدنا تعابير جديدة على اللغات الحية المعروفة سواء أكانت عربية أم انكليزية أم فرنسية، بل هناك ما يشبه "الخلطة" الغريبة التي تجمع بين كلمات من اللغة العربية وأخرى من اللغة الانكليزية في أوان، والتي أطلق عليها مجازاً "العربيزي". ويستمر زحف "العربيزية" أو "الفرانكو عربية" الخطير على حاضر ومستقبل لغة أجيالنا بانقالها من المنطوق إلى المكتوب عبر المدونات وغرف الدردشة وشبكات التواصل الاجتماعي و"المانجر" ورسائل الهواتف المحمولة خصوصاً أن أكثر المستخدمين لذلك هم شريحة الشباب، حيث يكتبون العربية بأحرف لاتينية على وفق نطق الأولى. و"العربيزية" المكتوبة بأختصار هي كتابة الكلمات العربية باستخدام الأرقام والحروف الإنجليزية، حيث تستخدم الأرقام من ١-٩ للتعبير عن مغزى الأحرف العربية التي لا وجود لها في الانكليزية، كحرف الخاء الذي يستخدم عوضاً عنه الرقم ٥، ورقم ٦ للتعبير عن حرف الطاء، و٧ عن الحاء وهكذا

ويموجب هذا السياق اصبح هناك ابدية متعارف عليها بين المتحدثين في صفحات المواقع الاجتماعية هي على النحو التالي:

حرف الالف (أ) = ٢
حرف العين (ع) = ٣
حرف الخاء (خ) = ٥
حرف الطاء (ط) = ٦
حرف الحاء (ح) = ٧
حرف الغيم (غ) = ٨

وبناءً على ذلك إذا أراد احدهم ان يحيي الآخر فيقول له بلغة التراسل الفوري : sbav٠ (صباحو) / شو عامل تصبح: ٣ml sho . واما يتم اختصار الكلمة الطويلة الى بعض الحروف أو الى حرفين منها لتقي بغرض التعبير عن الكلمة المراد قولها كما في الكلمات الاجنبية التالية:

Some 1= (Someone)
Please = Plz
Because: Bcz
See You = cu
Take Care = Tc
Welcome = Wlc

واما ان يُستعاض عن ذلك كله بأستخدام الرموز الموجودة اصلا على قائمة الموقع ضمن لوائح الاحرف والاشارات كما في الاشكال التالية: *-* = سعيد، / = زهقان، ؛ = مستمتع/!!... = مش عارف حالك/ @: = معصب/ @ = and/ حتى الابتسامات والانفعالات وملامح الوجه بات يعبر عنها على وفق البيانات التالية: فرح / حزين / O: وتعني غاضب / D: وتعني ضاحك.. ومثال على ذلك ما ارسله لي احدهم ذات يوم الرسالة النصية التالية:

(ü)Smile
(!.)Cry
(;)Angry
(;)Bored
(o)Hungry
(,)Happy
(?)Confused
(-.-)Sleepy
wHaTEvEr u FeEI 'LL sTiLL B tHeRe 2 be
Ur Friend 4EvEr

إن هذه اللغة . إذا جاز تسميتها كذلك . تشويها مفردات غير عربية، وتراكيب غير منسجمة تسيء إلى جمال لغتنا النقية، ولا يتوقف الخطر عند هذا الحد،

فهناك ما يزيد من غربة أجيالنا الصاعدة عن لغة الضاد ويفاقمها ألا و هو حدةً تقضي استخدام اللهجة المحكية (العامية) بأعتبارها اللغة الرئيسة لتواصلهم اليومي، والمعتمدة لديهم في جميع مناحي الحياة على حساب العربية الفصحى. وتبعاً لذلك تبدو الفصحى لدى الأطفال والناشئة نغماً نشازاً عندما يسمعونها أو يريدون التحدث أو التواصل أو التدوين بها، وينحصر تعاطيهم مع الفصحى في تواصلهم المحدود مع معلمهم ومع القليل مما يتابعونه من برامج إعلامية. ومن الصور المؤثرة الناتجة عن هذا الاستخدام أن الجيل الشاب الذي يلجأ إلى العربية في كتابته عبر الهاتف الخلوي أو الانترنت يدونها بالمحكية وليس بالفصحى، مما يؤدي ذلك الى ضحالة المفردات اللغوية وضعف المهارات الإملائية، وتردي الملكات التعبيرية لديه. وقد وصل الامر الى استخدام لهجات عامية اثناء التواصل التي غالبا ما تتخذ طابع اللهجة لبينة المتحدث، فلا يفهمها الا القريبون جدا من بعضهم الآخر أو المنصوون في اقليم جغرافي معين، وفي هذه الحالة غالبا ما يعمد المتخاطبون الى كتابة الكلمات حسبما تلفظ (بزيادة حروف او قلبها الى حروف اخرى او استبدالها بألفاظ اسهل) حسبما هو متعارف بينهم ومن الامثلة ما ينشر في مواقع المحادثات والتعليقات على الفايس بوك العبارات التالية باللهجة اللبنانية

- وين ما عم نشوفك
- بما انكن ما قادرين تجو فينا نحن نروح لعندكن
- بعد ما شفت واحد سئيل (تقيل الدم) وغليز (غليظ)
اكثر من هيك واحد
Bokra el sa3 a sb3a khlene shoufk ...ma
tnsa (وتعني: بكر الساع سبعة خليني شوفك ..ما نتسا

Hhhhhhhhhh kteer madoume mnkn ...wa
kteer 2aweeeeee (ههههههه كثير مهضومة منك
وكثير قوّة!!)

ازاء ذلك أطلق خبراء اللغة والنحاة صيحة تحذير من أن غرف الدردشة في شبكة الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي تشجع الأطفال على أرتكاب أخطاء إملائية في الهجاء وكتابة الكلمات. وقالت احدى الباحثات في الاسنية واللغويات من الجمعية الانكليزية للتهجئة والتدقيق الإملائي(بريطانيا) : إن الإنترنت أحدث تغييرا جوهريا بمعنى أنه قلب الموازين في اللغة الانكليزية، وجعل الخطأ في اللغة هو القاعدة. وبدورها اشارت هذه الجمعية الى إنه في الوقت الذي يكتب فيه الناس بسرعة على الإنترنت، يتبين إن ثمة اتجاها عاما بأن تصحيح الأخطاء أو الالتزام بقواعد التهجئة السليمة هو أمر لا ضرورة له، وهذا معناه أن الذين تربوا على الإنترنت يرتكبون أخطاء في اللغة، ولا يعبأون أصلا بتهجئة الكلمات بصورة سليمة..

اجرت الباحثة "لوسي جونز" (جامعة مانسستر/ بريطانيا) مسحا لعينة من الشباب تتراوح أعمارهم من ١٨ إلى ٢٤ عاما، فوجدت أن غالبية هؤلاء الشباب يعتقدون أن التهجئة غير التقليدية مقبولة على شبكة الإنترنت لأنها تسمح في سرعة التواصل، وقال أكثر من واحد من بين كل خمسة (٢٢ في المائة) من العينة إنهم لا يتقون بكتابة رسالة مهمة عبر البريد الإلكتروني من دون الرجوع إلى قاموس لغوي أو التدقيق الإملائي ولكن ماذا عن مقارنة الموضوع في الوسط اللبناني كيف يقوم ناشطو ورواد الفايسبوك لغة تواصلهم وتحدثهم؟ هل ينسحب التفاعل الرمزي على طريقة تواصلهم؟ هل التعبيرات التي يستخدمونها ذات منحى لغوي صحيح أو لهجة متداولة أو خليط من عدة لغات ولهجات؟ توضيحا لهذا الموضوع استطلعنا رأي عينة من مستخدمي وسائل التواصل الالكتروني - الاجتماعي بالسؤال عن **بأية لغة تكتب أكثر كتاباتك على صفحة الموقع الخاص بك: العربية / الانكليزية/ الفرنسية/ غيره؟**

و كانت النتيجة أن نسبة (٢٨٪) يكتبون بالعربية و(٥٠٪) يكتبون باللغة الانكليزية (٢٪) باللغة الفرنسية في حين اشار ما نسبته (٢٠٪) الى انهم يكتبون بغير ذلك وربما هو ما نعينه باللغة الخليطة (عربي على انكليزي على فرنسي على رموز واشارات واختصارات) وحينما سئل افراد العينة بأن: هناك من يستخدم لغة جديدة : تعرف بالعربيزي او الفرنكو آراب (كتابة لغة عربية بحروف اجنبية) او اللغة الرقمية (استبدال الحروف بأرقام) او الكتابة المختصرة (بالرموز والاختزالات) الى ماذا يرجع السبب في رواجها؟ فأشار بعضهم الى الاسباب التالية:

-لسهولةها في التعبير .
-لتضمنها اختصارات تتفق و سرعة الوقت والكتابة.
-لأنها أصبحت متداولة فالجميع يعرفها ومتوافق عليها.
-لأنها عملية أكثر من اللغات الاخرى.
-لأن ليس لديها أي قواعد صرف ونحو (فبإمكانك أن تكتب بحرية مثلا من دون أن تتوقف عند ضوابط لغوية).
-لأن الانواق أصبحت متشابهة وكأنها موضوعة أو صرعة عليك أن تأخذ بها .
-قد يستعملها بعضهم لضعف ما في لغته الأصلية فيكتب كما يتكلم (تخبيص) !
-لأنها أصبحت كقاسم مشترك (وجامع) بين مختلف المستخدمين على اختلاف مستوياتهم وثقافتهم

قد تكون أهم معلم من معالم الثقافة بأعتبارها وسيلة التخاطب ، وأداة التواصل بين أفراد أو جماعات فيما بينها. فبواسطتها يستطيع الجميع أن يعبر، ويتفاعل، ويتشارك بشكل يومي في أي مكان من العالم. إلا أن استمرار حيوية اللغة وحضورها في الوسط الاجتماعي والمعرفي مرهون باستمرار استخدامها الصحيح والسليم . إذ هناك لغات اطفئت واندثرت وأخرى تغيرت وتبدلت، وغيرها بقي واستمر، فعوامل الاندثار أو الاستمرار ترتبط بمدى استخدامها الفعلي، فكم من اللغات انتهت لأن لم يعد هناك من يتكلمها أو يستخدمها بشكلها الأمثل ؟

وكم من لغة جديدة استبدلت بأخرى وأصبحت متداولة لأنها فرضت نفسها بفعل التطور والحدثة ولنا في مثال ذلك اللغة المتداولة في وسائل التواصل الاجتماعي والاختصارات المرافقة والأشكال التي ترمز الى بعض المعاني والكلمات حتى أصبح من لا يعرفها غريباً عن عالمه. والهاجس عندما يأتي ونصبح معه غريباً ليس عن لغتنا وثقافتنا وإنما عن أفكارنا ومشاعرنا وتعاييرنا ..لأن اللغة أولاً وأخيراً نافذة الفكر . ترى ما الذي نريد من تبينه عبر تلك النافذة ؟ ولمن وكيف ؟

ورد في "المحاسن والمساوئ" أنه "كتب محمد بن أبي عون إلى محمد بن عبدالله بن طاهر:

قد بعثنا بزهره البستان بكر ما قد أتى من الريحان
ياسميناً ونرجساً قد بعثنا وبعثنا بسوسن البستان

فقرأها محمد، وقال: ثلاث مرّات قد. وكتب إليه:

عونُ دقَّ الإلهُ من فيك أننا هُ وأقصاهُ يا عيَّي اللسان
حشوّ بيتك فيه قدّ وقدّ قدك الله بالحسام اليماني(١).

وفي العصر الحديث عاب النقاد تكرار الكلام. يقول مارون عبّود: "ولكن الغريب العجيب أن يجنّز شاعر معنى واحداً من معانيه؛ فيقوله مراراً كما فعل شوقي في بيته: وإنما الأمم الأخلاقُ إلخ. حتى يقول الرافعي في نقد صديقه شوقي بعد موته: ومن عيوبه التكرار. إنّ له بيتاً يدور في قصائده دوران الحمار في الساقية"(٢).

غير أن أداء المعنى كاملاً بأقل قدر من الكلمات ليس بالأمر الهين. قال باسكال: لقد كتبت هذه الرسالة المطوّلة لأنه لم يكن لدي الوقت الكافي لكتابتها أقصر .

من أمثلة الإيجاز اللفظي في العربية ما أورده الثعالبي. يقول: "أَيَّانَ بمعنى متى، كقول الله سبحانه: ﴿وما يشعرون أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾(٣). أي: متى؟ وقال بعض أهل العربية: أصلها: أي أوان. فحذفت الهمزة، وجعلت الكلمتان كلمة واحدة، كقولهم: أيش! وأصله: أي شيء"(٤).

وما بعض التضمين الذي يذخر به القرآن الكريم إلا إيجاز يجعل العبارة أبلغ وأوقع في النفس. ومن أمثلته: ﴿ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾(٥). أي: لتكبروا الله حامدين على ما هداكم. ومنه أيضاً: ﴿ربّ فأَنْظِرْني إلى يوم يُبْعَثُونَ﴾(٦)، أي: إلى اليوم الذي يُبْعَثُونَ فيه. و﴿سأَلُ القُرْيةَ التي كُنا فيها﴾(٧)، أي أهل القرية. و﴿تتلقاهم الملائكةُ هذا يومُكم﴾(٨)، أي: قائلين لهم: هذا يومكم. ومنه قولهم: مَنْ كذب كان شراً عليه، ومَنْ صدق كان خيراً له. أي: كان الكذب شراً عليه، وكان الصدق خيراً له. ومثل ذلك قولهم: أهلاً وسهلاً، أي: حللت أهلاً ووطئت سهلاً. وقولهم: عفواً، شكراً، أيضاً... وغيرها كثير. ولعلك إذا قلت: لا تتكلّم وتأكّل، فالمقصود: لا تتكلّم وأنت تأكل؛ فاستغني بالولو عن الضمير. وهذا ممّا لم أجد له مثيلاً في غير العربية

العربية ...

كتابة: د.أميل منذر
كاتب لبناني

العربية لغة الإيجاز

كنا قد تحدّثنا في عدد سابق على أنّ العربية هي لغة الأبجدية التامة. وهذه المرّة سنتحدّث عن الميزة الثانية في لغة الضاد، ألا وهي الإيجاز.

الإيجاز هو وجه من وجوه البلاغة التي قال العرب فيها إنها الإيجاز من غير عجز، وإنها الإفهام بقليل الكلام. لذلك قالوا: خير الكلام ما قلّ ودلّ. وقالوا: البلاغة لمحّة دالة. وقالوا: لا تنفق كلمتين إذا كتبت كلمة. وأنشدني أحمد بن اسماعيل الكاتب لنفسه

خير الكلام قليلٌ على كثير دليلٌ
وفي الكلام فضولٌ وفيه قال وقيل(١)

"وفي تفصيل الإيجاز يقول جعفر بن يحيى لكتّابه: إن قدّرت أن تجعلوا كتبكم توقيعات، فافعلوا. وقال بعضهم: الزيادة في الحدّ نقصان. وقال محمد الأمين: عليكم بالإيجاز فإنّ له إفهاماً، ولإطالة استنبهاً... وقيل لبعضهم: لم لا تطيل الشعر؟ فقال: حسيك من القلادة ما أحاط بالعنق. وقيل للفرزدق: ما صيرك إلى القصائد القصار بعد الطول؟ فقال: لأنّي رأيته في الصدور أوقع وفي المحافل أجول"(٢).

لذلك اهتمّ العرب كثيراً بصياغة الجملة قصيرة، وعابوا الحشو والتكرار. ومن أمثلة ذلك، أنه "تكلم ابن السمّاك يوماً وجارية له تسمع كلامه. فلما دخل إليها قال: كيف رأييت كلامي؟ قالت: ما أحسنه لولا أنك تكثر ترده! قال: أردّده حتى يفهمه من لم يفهمه. قالت: إلى أن يفهمه من لم يفهمه، قد ملّه من فهمه"(٣).

وقد عاب العسكري على النابغة الذبيانيّ قوله:
تبيّنت آياتٍ لها فعرّفْتُها لستَ أعوامٍ وذا العامُ سابعُ

قال: "كان ينبغي أن يقول لسبعة أعوام ويبيّن البيت بكلام آخر يكون فيه فائدة، فعجز عن ذلك، فحشا البيت بما لا وجه له"(٤).



ومن أمثلة الإيجاز في الشعر:
قالت بناتُ العمِّ: يا سلمى وإن كانَ فقيراً معدماً؟
قالت: وإن
 أي قالت: حتى وإن كان فقيراً معدماً، فسوف أقبل به.

ومنه أيضاً قول ابن الرومي:

رأيتُه سَحراً يَقتلُني زَلايئةً
في رِقَةِ القُشْرِ والتجويف كالقصبِ

كأنما زَيْثُـهُ المَغْلِي حينَ بدا
الكيميائِ التي قالوا ولم تُصبِ.

أي: التي قالوا إنها أصابت، لكنها لم تُصب

وقوله أيضاً:
إن أقبلتُ فالبدْرُ لاح، وإن مشتُ
فالفغنُ راح، وإن رنتُ فالريمُ.
 أي: فإنها الريم

ومنه قول عبادل بن عطية:

إني استحييتُك أن أفوهَ حاجتي
فإذا قرأتَ صحيفتي فتفهم

وعليك عهدُ الله إن أنباته
أهل السَّيَالَةِ إن فعلت وإن لم
 أي: وإن لم تفعل

ومن باب الإيجاز أيضاً قول أحمد شوقي:
سننت اعتدالَ الدهرِ في أمر أهله
فبأت رضىً في ذراكِ وباتوا.
 أي: وباتوا راضين هم أيضاً.

وقول أبي العلاء المعري:
الناسُ بالناسِ من حُضرٍ وبدايةٍ
بعضُ لبعضٍ وإن لم يشعروا خدَم.
 أي: وإن لم يشعروا أنهم خدم.

وقوله أيضاً:

فأخَرُ لنفسك خيراً كي تُسرَّ به
فإن فعلت، وإلا عادك الندمُ.
 وتفسيره: فإن فعلت، سررت به، أو: لم تتدم

ومما أورده ابن رشيق القيرواني من شواهد شعرية على الإيجاز، أنه "قال الطرماح يوماً للفرزدق: يا أبا فراس، أنت القائل:

إن الذي سمَكَ السماء بني لنا
بيتاً دعائمه أعزُّ وأطولُ.

أعرَ ممّاذ؟ وأطول ممّاذ؟ وأذن المؤذن، فقال له الفرزدق:
 يا لكع، ألا تسمع ما يقول المؤذن: الله أكبر. أكبر ممّاذ؟
 أعظم ممّاذ؟ فانقطع الطرماح انقطاعاً فاضحاً" (١).

وأورد ابن قتيبة أيضاً شواهد عدّة منها: "قال النمر بن تَوَلَب:

فإن المنية من يخشها فسوف تصادفها أينما.

أراد "أينما ذهب" أو "أينما كان" فحذف. ومثل هذا كثير في القرآن والشعر" (١).

إلا أن من الإيجاز ما هو مستقبح لأنه يوقع الالتباس في الفهم؛ فالغاية دقة المعنى أولاً والبلاغة ثانياً. وخير الكلام ما جمع بين الاثنين. وإن تعدّر ذلك، فليبق وضوح المعنى، ولتذهب البلاغة. لذلك قيل أن "لا خير في كلام لا يدل على معنك، ولا يشير إلى مغزك" (٢).

من أمثلة الإيجاز الذي يذهب بالمعنى، هذا البيت لعقمة بن عبدة:

كان إبريقهم ظبي على شرف
مُقدّم بسبب الكتان ملثومُ.

يريد: "سباسب الكتان"، فحذف اضطراراً لأن الوزن لا يستقيم له إلا بعد الحذف.

وكذلك قول لبيد:
درس المنا بمناج فابان فتقامت بالحبس فالسويان.

يريد: "المنازل"، فحذف للضرورة أيضاً... فأما سائر العرب فالحذف في كلامهم كثير لحب الاستخفاف وتارة للضرورة" (٣).

ولعل كلمة واحدة في العربية توجز جملة بكاملها. ومن ذلك: "أطعمته" التي يعبر عنها بالفرنسية بجملة: je lui ai donné à manger، وبالإنكليزية: I gave him to eat، وبالعبرية: (natati lo léékhoh). وكذلك "أعطيتك"، أي: أعطيتك إيّاه، وهي بالفرنسية: je te l'ai donné، وبالإنكليزية: I gave it to you. وبالعبرية: (ani natatikha oto).

غير أن أنيس فريجة يعترض على تقدير المحذوف من الكلام لجعل الجملة خاضعة تركيبياً ونحوياً للمنطق. ويعطي مثلاً جملة "سقياً لك". يقول:

"... ولذلك يجب أن نقدّر أموراً ناقصة، وعليه قدّروا أن الجملة، لتستقيم حكماً منطقياً، يجب أن تكون: [اللهم اسق سقياً] هذا هو دعائي لك. وما هو بين قوسين نقدّره. وبأي حق نقدّر؟ لو ان العرب كانوا حقاً يقولون: اللهم اسق سقياً، هذا هو دعائي لك؛ فما الذي دعاهم إلى تغيير التركيب" (٤).

أعتقد أن فريجة قد أخطأ في حكمه هذا. فالذي دعا العرب إلى تغيير التركيب هو توخّيبهم الإيجاز. والإيجاز وجه من وجوه البلاغة، كما رأينا. ولكن لنقل إن غلطة "الشاطر" بألف غلطة. وإذا توخّينا الإيجاز، قلنا: غلطة الشاطر بألف.

والى اللقاء للتحدّث في مزايا أخرى تتفوق بها لغتنا بالموازنة مع الفرنسية والإنكليزية والعبرية.

- (١) أبو بكر الصوّلي، أدب الكتاب، ص ٢٤١
- (٢) أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص ١٥٧
- (٣) ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ٢ / ١٩٤
- (٤) المصدر نفسه، ص ٤٥
- (١) إبراهيم بن محمد البيهقي، المحاسن والمساوي، ص ٤٣٣
- (٢) مارون عبّود، مجدّون ومجتزون، ص ٣٩
- (٣) النحل / ٢١
- (٤) أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ص ٣٩٨
- (٥) البقرة / ١٨٥
- (٦) الحجر / ٣٦
- (٧) يوسف / ٨٢
- (٨) الأنبياء / ١٠٣

- (١) ابن رشيق، العُمدة، ١ / ٢٥٤
- (١) ابن قتيبة الدينوري، أدب الكاتب، ص ١٦١ - ١٦٢
- (٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ١ / ٨٥
- (٣) ابن رشيق، العُمدة، ١ / ٢٥٥ - ٢٥٦





زكي نجيب محمود

هذا وقد أعلنت كتابات **زكي نجيب محمود** من قيمة التفكير العلمي في مواجهة الحياة ومشكلاتها وتطور المجتمعات وتطويع البيئة لمصلحة الانسان على أساس العلم ومبادئه.

حيث اعتمد زكي نجيب محمود على الفلسفة الوضعية المنطقية من اجل استخدامها في بناء نهضة عربية جديدة، مبنية على العلم، ولا تتعد عن المنطق و"لا تسير" بغير طريق المنهج العقلي القويم. فكل تفكير قائم على العلم ومناهجه، هو تفكير له معنى، اي دالاً على خبرة حسية يمكن اللجوء إليها في عالم التجربة، وبغير تلك الخبرة الحسية، يبقى التفكير ضائعاً في مآهات الألفاظ التي يمكن أن يكون لها معنى، من دون أن تكون صادقة بالضرورة على الواقع المعني.

وهكذا يعلل زكي نجيب محمود أسباب الأزمة الفكرية العربية ويضع لها الحلول اللازمة متسائلاً: "كيف السبيل إلى ثقافة نعيشها اليوم بحيث تجتمع فيها ثقافتنا الموروثة مع ثقافة هذا العصر الذي نحياه، شريطة ألا يأتي هذا الاجتماع بين الثقافتين تجاوزاً بين متطرفين، بل يأتي تضافراً تنسج فيه خيوط الموروث مع خيوط العصر نسيج اللحمة والسدى". وهكذا رأى أن الأمة العربية لن يقوم لها مقام إلا باتباع خطوتين أساسيتين:

الخطوة الأولى: الهدم، وهو ما يمكن ان نطلق عليه حقبة (رفض التراث) بكل ما يحتويه، معتقداً أنه لم يعد صالحاً لتحقيق التقدم والتطور المنشود.

الخطوة الثانية: حقبة البناء، وهي التي تتمثل بإعادة بناء ما تم هدمه من قبل، على اعتبار أن هذا البناء في نظره يكون باستحداث منهج بديل هو المنهج الوضعي المنطقي الذي يشكل طريقنا للتقدم والتطور

وفي هذا السياق راح زكي نجيب محمود يدعو إلى ضرورة الأخذ بالمذهب الوضعي المنطقي، من أجل إرساء قواعد العلم، ولأن الفلسفة الوضعية هي التي تقدم الحل العصري لمشكلة المعرفة، يدفعه الى ذلك إيمانه بالعلم، على اعتبار أن هذا المذهب في طليعة المذاهب المسائرة للروح العلمي، كما يفهمه العلماء الذي يخلقون لنا أسباب الحضارة في معاملهم.

ورأى أنه من الضروري الإعتماد على المنهج التجريبي في مجال الفكر والعلم على حدّ سواء ، فإذا التزم المفكر بهذا المنهج إتجه إلى تحليل أفكاره ليرى، هل لها أساس في الواقع أم أنها في مجال عبارات ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقية)، ولما كان مجال تخصص- زكي نجيب محمود- هو الفكر والفلسفة ، فقد رأى أن هذه الأخيرة لا بدّ من أن تكون أولى المجالات الواجب اصلاحها، فكان اول من حمل عليها، وحمل بمنهجه هذا على كل ما كان يسود الحياة العقلية، فدعا إلى العلم اساسا لكل تغيير و تطور، وراح يطبق هذا على المجالات بدءاً من مجال الفلسفة، رافضاً المذاهب الميتافيزيقية، والأنساق الفلسفية الأخرى، و رافضاً لموضوعات القدماء ومناهجهم، متخذاً من هذا النقد طريقاً للإصلاح ولهذا فهو يقول:

أنا مؤمن بالعلم كافر بهذا اللغو الذي لا يجدي على أصحابه، ولا على الناس شيئاً، وعندي أن الأمة تأخذ بنصيب من العلم ومنهجه.

وقد دعا زكي نجيب محمود الى التهافت على الفكر الغربي دعوة صريحة واضحة. و عنده الجواب الواحد الواضح لتخلف الشعوب العربية ومعاناتها في عدم القدرة على ربط النظر بالعمل وانعدام ثقافتها العلمية، إنما يكمن في ابتعادها أو إعراضها بشكل أو بآخر، عن روح الحضارة الغربية، والتي - كما يرى - بدون اللجوء إلى تلك الحضارة والإستعانة بها، لن يتسنى للوطن العربي المعاصر التقدم خطوة واحدة إلى الأمام، وسيظل يتخبط في وهم التراث وفراغه من كل محتوى علمي عصري نهضوي.

هكذا كانت الإتجاهات الفكرية لزكي نجيب محمود ، ثورة مضمرة على التراث العربي القديم وما أورثه من وضعية عربية راهنة، وتوجه صريح نحو الفلسفة العلمية الغربية.

خاصة و ان الشعوب العربية المعاصرة ما زالت تترجح تحت وطأة التخلف والقهري، كنتيجة حتمية - كما يظن - لانشغال المفكرين العرب المعاصرين في العبث بأوراق بالية عفا عليها الزمن، فهم لا يزالون غير مدركين للمهمة الجديدة التي يجب على الفلسفة المعاصرة أن تضطلع بها.

أما الشعوب الغربية فقد حققت وثبات جبارة في شتى الميادين وتتوع المسائل، إذ أنها عرفت كيف تستغل النظريات الحديثة التي صاغها عقلها العلمي عبر نقلها وتوظيفها في مختلف أوجه نشاط الفكر الإنساني، وعلى الخصوص، تلك الأوجه التي وصفت بالجمود والرتابة والتي أصبحت في الوقت الحالي، بحاجة إلى إعادة النظر في منهجياتها ومهامها (كالنظريات الفلسفية والمؤلفات الأدبية القائمة على التجريد والخيال والانفعالات).



د. زكي نجيب محمود





ناصر ناصر

إذ أن نشأة وعيه الفلسفي مطبوعة الى حد بعيد بالإغتراب التاريخي الحضاري، زيادة على أن هذا الوعي الفلسفي يحمل أفكاراً ثابتة على أن مسعى كل فلسفة وكل اتجاه فلسفي يظهر في وقت من الاوقات، هو أن يكون ذا قيمة شمولية، أي متشكلاً من نسق ثابت من الافكار والقيم الصالحة للانسانية بصفة عامة.

فما هي معاني ومظاهر استقلال ناصيف ناصر، وكيف ربط هذا الفيلسوف بين وهذا وقد وصف التخلي عن تاريخ الفلسفة الانتحار، وبين مطالبته الملحة بالاستقلال والتحرر من قيود ذلك التاريخ، حتى تكون لدينا فلسفة عربية معاصرة جديدة بالنظر والاعتبار، ومنطلقة من الوعي.

و هنا نذكر أن كتاب ناصيف ناصر (طريق الاستقلال الفلسفي)، قد وضع أساساً من منطلق هذه التساؤلات و الأفكار وغيرها الكثير، وجميعها تدور على مدى امتلاك الفيلسوف العربي المعاصر لمعاني الاستقلال وتطبيقها على نتاجه الفكري:

في الاستقلال الفلسفي تتركز دعائم الثقافة والحضارة معاً، وتتأهل المجتمعات للدخول في حقبة حضارية تاريخية جديدة، ركيزتها العقل الحرّ، وأهدافها فتح باب الحرية وإطلاق سبل الإبداع.

وتكمن اهمية موضوع الإبداع والتأهيل عند زكي نجيب محمود وناصر ناصر في أنهما متفقان ما بين أمرين هما الإبداع والإبداع، ذلك من أجل بناء مجتمع جديد، ولكون هذين الأسلوبين بمثابة السبيل القويم للفكر العربي المعاصر نحو دروب الحرية والإبداع.



وفي الواقع ينطوي الموقف التوفيقى على نقد للموقف الاتباعي الضيق، ويعبر عن ادراك متقدم لمشكلة التفكير في الثقافة العربية الراهنة. إذ يعترف بضرورة تخطي تبعية الاتجاه التاريخي الواحد، وبفائدة التقريب والملاءمة والجمع بين افكار ونظريات مستمدة من تاريخ الفلسفة العربية الحديثة والمعاصرة، وافكار ونظريات مستمدة من تاريخ الفلسفة الوسيطة، سواء أكان أسلوب التوفيق مبنياً على الانطلاق من الغربي الحديث والمعاصر أم من التراثي القديم.

وشرح ناصيف ناصر في تحديد الدور الاساسي الذي يلعبه فيلسوف الوطن العربي المعاصر من فهمه لعلاقته بتاريخ الفلسفة وآلية التعامل معه. و في الحقيقة ، ليس بالامر السهل البسيط أن يتحرر الفيلسوف العربي من عدة تاريخ الفلسفة

وفي هذا السياق راح زكي نجيب محمود يدعو إلى ضرورة الأخذ بالمذهب الوضعي المنطقي، من أجل إرساء قواعد العلم، ولأن الفلسفة الوضعية هي التي تقدم الحل العصري لمشكلة المعرفة، يدفعه الى ذلك إيمانه بالعلم، على اعتبار أن هذا المذهب في طليعة المذاهب المسائرة للروح العلمي، كما يفهمه العلماء الذي يخلقون لنا أسباب الحضارة في معاملهم.

ورأى أنه من الضروري الإعتماد على المنهج التجريبي في مجال الفكر والعلم على حدّ سواء ، فإذا التزم المفكر بهذا المنهج إتجه إلى تحليل أفكاره ليرى، هل لها أساس في الواقع أم أنها في مجال عبارات ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقية)، ولما كان مجال تخصص- زكي نجيب محمود- هو الفكر والفلسفة ، فقد رأى أن هذه الأخيرة لا بدّ من أن تكون أولى المجالات الواجب اصلاحها، فكان اول من حمل عليها، وحمل بمنهجه هذا على كل ما كان يسود الحياة العقلية، فدعا إلى العلم اساساً لكل تغيير و تطور، وراح يطبق هذا على المجالات بدءاً من مجال الفلسفة، رافضاً المذاهب الميتافيزيقية، والأنساق الفلسفية الأخرى، و رافضاً لموضوعات القدماء ومناهجهم، متخذاً من هذا النقد طريقاً للإصلاح ولهذا فهو يقول:

أنا مؤمن بالعلم كافر بهذا اللغو الذي لا يجدي على أصحابه، ولا على الناس شيئاً، وعندي أن الأمة تأخذ بنصيب من العلم ومنهجه.

وقد دعا زكي نجيب محمود الى التهافت على الفكر الغربي دعوة صريحة واضحة. و عنده الجواب الواحد الواضح لتخلف الشعوب العربية ومعاناتها في عدم القدرة على ربط النظر بالعمل وانعدام ثقافتها العلمية، إنما يكمن في ابتعادها أو إعراضها بشكل أو بآخر، عن روح الحضارة الغربية، والتي - كما يرى - بدون اللجوء إلى تلك الحضارة والإستعانة بها، لن يتسنى للوطن العربي المعاصر التقدم خطوة واحدة إلى الأمام، وسيظل يتخبط في وهم التراث وفراغه من كل محتوى علمي عصري نهضوي.

هكذا كانت الإتجاهات الفكرية لزكي نجيب محمود ، ثورة مضمرة على التراث العربي القديم وما أورثه من وضعية عربية راهنة، وتوجه صريح نحو الفلسفة العلمية الغربية.

خاصة و ان الشعوب العربية المعاصرة ما زالت تترجح تحت وطأة التخلف والقهر، كنتيجة حتمية - كما يظن - لانشغال المفكرين العرب المعاصرين في العبث بأوراق بالية عفا عليها الزمن، فهم لا يزالون غير مدركين للمهمة الجديدة التي يجب على الفلسفة المعاصرة أن تضطلع بها.

أما الشعوب الغربية فقد حققت وثبات جبارة في شتى الميادين وتتنوع المسائل، إذ أنها عرفت كيف تستغل النظريات الحديثة التي صاغها عقلها العلمي عبر نقلها وتوظيفها في مختلف أوجه نشاط الفكر الإنساني، وعلى الخصوص، تلك الأوجه التي وصفت بالجمود والرتابة والتي أصبحت في الوقت الحالي، بحاجة إلى إعادة النظر في منهجياتها ومهامها (كالنظريات الفلسفية والمؤلفات الأدبية القائمة على التجريد والخيال والانتفعالات).

